الركض على الحبل

obeikan.com

الكتاب : الركض على الحبل
المؤلف : شيماء زايد
تصميم الغلاف : شيماء زايد
تدقيق لغوي : محمود سلام محجوب
رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢١١٣٥
الترقيم الدولي : ٥-٠٠٢-٧٧٨-٩٧٧-٩٧٨
الطبعه الاولي : ٢٠١٤

٢٠ عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧
Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikan.com

شيماء زايد

الركض على الحبل

مجموعة قصصية

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى الجميع.. لأننا مجبرون على العيش معًا..

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

(كابينة ١٣)

كان يدرك في قرارة نفسه أنه مختلف.. لا يهم إذا ما كان الأمر جيدًا أو سيئًا، ولكنه لا ينتمي إلى هذا المكان.. يسوؤه ذلك الباب الموصد، والهواء المتسلل من الشبك الحديديّ لا يُرضي رئتيه المتطلعتَينِ للفحات الهواء المرتطم بجبهته العريضة، وهي كرأس السهم تشقّ براح الفضاء بلا أسوار..

عيناه الواسعتان البراقتان كانتا تشيان بحزن عميق متشعّب داخل أوصاله، التي لا تداعبها الشمس إلا قليلًا..

عرقوبه المصاب لم يكن ليثنيه عن تأدية فقرته بشموخ، رافعًا ذيله الطويل ومبدلًا أرجله بين ثني ومدٍّ، ملامسًا الأرض أو مبتعدًا عنها يؤدي رقصته الاستعراضية على أنغام المزمار، يشنف أذنيه الصغيرتين رقيقتي الأطراف بتصفيق وتهليل الجماهير..

يودّ لو يسقط ذلك القابع فوق ظهره، ويتخلص من قيد جيده ويرقص ركضًا دون توقف، يزعجه السوط والعصا ووحدته داخل (كابينة ١٣)..

الصغيرة صاحبة الضفائر الذهبية.. ابتسمت له.. غافلت أباها الذي يحملها، ومدت يدها من خلف القضبان وربتت على رأسه بين عينيه..استسلم لكفها الرقيقة، وترك لها حرية خلخلة أناملها بين خصلات شعره..أصرت أن تفتح النافذة الحديدية الشبكية، رغم اعتراض الحارس وتحذير كل المحيطين من غدر الفرس، مررت يديها على جيده وشعره وجبهته.. قبّلته.. تناغَمَا..

تبادلا الحنو بالتلامس.. ثمة خلايا حية تنتقل بينهما، تتوحد كنسيج موصول بين جسدين، جسر من الأمان المتبادل.. ضحكت.. رفع رأسه.. نحّاها أبوها جانبًا..

ثنى عنقه خارج الكابينة، كانت في انتظاره الفرسة البنية الشهباء تطل من كبينتها المجاورة..

حاول الأب مداعبته.. رفض.. صهل.. هلع الجميع.. أسرع الحارس بغلق النافذة..

ركل الباب مرات ومرات دون جدوى.. كانوا بالخارج يثنون الفتاة عن فتح النافذة مرة أخرى، يخبرونها عن حوادثه السابقة في الركل والعضِّ.. يصورونه كشيطان مشاغب صعب الترويض.

وعجز هو أن يخبرها أنه قادر على الفتك والقتل، إلا أن شيئًا ما في تكوينه يأبى الغدر.. وشيئًا أكبر يأبى الإهانة.. وأصالةً ما داخلَه لا تنصاع للحبس المنفرد..

البنت.. رحلت بعيون دامعة، وصوت ارتطام حدواته بالباب الحديدي يرن في أذنيها، بينما انسحبت الفرسة الشهباء قصيرة القامة نسبيًّا، بهدوء إلى الداخل، غير عابئة بثورة صاحبها ونافذتها المفتوحة دائمًا...

obeikan.com

obeikan.com

عزف الصور

وَقْعُ قدميه يخترقُ صمتَ أفكارِه، تثورُ الأفكارُ مع كل خُطوة، تتحركُ حركة بندولية عشوائية داخل عقله، يحاولُ ترتيبها دون جدوى.. يسرعُ في مضيّه علّه يفلت منها، إلا أنها تزداد صخبًا.. يهرب إليها.. يتأملها، ويداعبها.. تلك الصغيرة.. البراقة.. والذكية أيضًا.. حصل عليها للتوِّ، وهي فقط مَن تستطيع تخليد ملامحه.

تسللت يده أسفل «البلوفر» السميك حتى اخترقتْ جيبَ القميص العلوي، أخرج مفتاحه ووضعه في موضعه الكامن في باب شقته، الذي لم يعد يتذكر لونَه من تراكم الأتربة، دلف إلى الداخل.. أضاء مصابيح كل الغرف، أرادها أن تتجول داخل الحجرات..

لم يكن يدري من قبل.. أن كل الحوائط أكلتها الرطوبة، ونزفت الكثير من طلائها.

امتدتْ يده في تردد إلى الشبّاك المغلق، فتحه بحذر تاركًا فسحة صغيرة، تسمح للهواء أن يتسلل ليغير رائحة العطن.

نصب الحامل أمام مقعده المفضل، وضعها عليه في حرص، وأخذ يحضّرها للعمل كما علَّمه صاحب المتجر الذي اشتراها منه.

أسرع إلى المقعد وجلس.. أطلقت وميضها وطنينها دليلًا على اكتمال العمل،

عاد إليها مرة أخرى، وأخذ يتحقق من جودة الصورة من خلال شاشتها الرقمية الصغيرة، وعاود الكرّة.. تارةً وهو يبتسم.. وتارةً وهو عابس.. وهو يضحك ضحكة تكشف عن أسنانه.. وهو ملقٍ برأسه على كفَّيه متشاكبتي الأصابع.. وهو واضع قدمًا فوق قدم.. وقدماه متجاورتان.. أراد أن يسجل كل انفعالاته؛ ليتبقى منه شيءٌ بعد الرحيل.. يشعر بأن شبح الموت يشاركه السكن، يتأهب للانقضاض عليه في أية لحظة.. ليس هناك من يحمل اسمه.. ولسوف تتلاشى ذكراه الدخانية بمجرد رحيله..

تذكّر صديقًا عزيزًا عليه أن يشاركه الصورة المقبلة.. دخل غرفته، فرد قامته وشدّها، واقفًا على أطراف أصابعه، محاولًا الوصول إلى صديقه القابع فوق خزانة الملابس.. تتحسس أصابع يده الهواء.. يبذل المزيد من الجهد للوصول.. تلتقط يداه شيئًا بملمس الجلد، يحركه قليلًا، فتسقط حقيبة قديمة، وتتبعثر محتوياتها على أرضية الغرفة.

يحاول جمع الأغراض المتناثرة.. جواز سفر.. عقد إيجار قديم.. و... يطلُّ وجهُ زوجته من أسفل الأوراق، يلتقطُ صورة زفافهما، يذوبُ بين عينيها، يذكرُ كيف جذبته تلك العينان، فذاب في صاحبتهما وتزوجها.. فتركته يذوب وحده، ورحلت دون عودة، أثناء ولادتها المولود الثاني داخل المستشفى الأميري.. دائمًا ما كانت تصف البحر بالغدر.. كانت تخشى الغرق.. ولم تكن تدري أن البر أكثر إغراقًا.

إلى جانبها صورته بالأبيض والأسود، كان وجهه يافعًا نضرًا. تحسس تجاعيد وجهه بحركة آلية، وابتسم ساخرًا عندما راوده هاجس أن الكاميرا الرقمية لن تخفي تجاعيده في صورها الملونة.

التقط صورة أخرى تجمعهما مع أول أبنائهما، داعب وجه الصغير هادئ الملامح، ابتسم متذكرًا ابتسامته الصافية.. لماذا احترقتْ تلك الابتسامة؟ وهل كان ابنه آثمًا عندما قرر قضاء العيد مع أبناء عمومته في الصعيد؟!

كان يتحدث عن صلة الرحم، فمضى وترك الرحم مبتورًا.. بل محروقًا، احترق أوله داخل قطار الموت.

ومضت سنوات يتشمم رائحته في المعطف الأبيض، ولم يرتدَّ بصيرًا، ولكن تتردد في مسامعه كلماته عن عدوه اللدود.. المرض.. الذي تحالف مع الفقر والجهل، وجثموا فوق رئتي النيل، فانقطع عنّا الهواء، إلا من بعض «الأكسجين» المسموح به في «المعونة».

ها هي صورة الولد الأصغر بوجهه الحزين، تذكّر كيف كان يجلس معه بالساعات ليعلِّمه العزف على العود، إلا أن الشقيَّ اختار القانون.. ربما لأنها آلة حزينة.. لا يعلم أمنحته الآلة حزنها أم أنه هو مَنْ منحها حزنه؟

ضاق عليه البحر، فانتقل إلى العاصمة؛ بحثًا عن عقد احترافٍ..

إلا أنه وقّع عقدًا طويل الأمد مع الحزن...

عندما كان صغيرًا، كانت تراوده الكوابيسُ ليلًا، ويصرخُ باكيًا، فيهرول إلى أبيه؛ ليخبره أن السقف سوف يلتهمه، فيضمه إلى صدره حتى يهدأ..

بدأ صوت ذكرياته يعلو.. فعلا صوته، وكأنما يحدث تلك الرقمية في الخارج.

«عندما تصاعد رنين الهاتف.. أجبت مسرعًا، توقعت أن أسمع صوته، إلا أنني فوجئت بصوت آخر يخبرني أن سقف حجرته التهمه... «البقاء لله، ابنك شهيد»... شهيد الحجر.. من أسقط الحجر؟! لماذا لفظت أنفاسك يا بُنيَّ تحت الحجر؟! وهل قلوبهم أرحم عليك أم الحجر؟!».

لملم بإحدى يديه ذكرياته الأليمة، وبيده الأخرى عرقل دمعة انحرفتْ تترنح على التجاعيد المرسومة في زاوية عينيه.

أحضر هذه المرة مقعدًا خشبيًّا، وقف عليه، ووضع الحقيبة في مكانها، وتناول عوده القديم، فضَّ غلافه.. أمسك بالعود.. حاول فرد ظهره المحني قدر المستطاع... وميض... طنين، نظر إلى الصورة فوجدها صامتة!!

مضت يدُه تداعب الأوتار، واليدُ الأخرى تشدُّ ما ارتخى منها... لم يدرِ كم من الوقت ظلَّ يعزف؟، إلا أنه ما إنْ توقف.. سمع لحنه يتردد.. قادته أذناه إلى مصدر الصوت.. التفت إلى الشبّاك الذي تسلل منه الضوء،

فأدرك أنه الصباح، حرر طرفي الشبّاك. وجد في النافذة المقابلة صبيًّا قمحيَّ اللون، تتدلّى أشعة الشمس على وجهه فتضفي عليه بريقًا برونزيًّا، قصير القامة، جريء الملامح، يعزف لحنه على (أورج) بلاستيكيٍّ صغير.. ارتبك الصبيُّ، وتوقف عن العزف.. تاركًا لعينيه اللامعتين العنان؛ لتذوبا في عمق العينين اللتين يحمل صاحبهما عوده القديم.

ابتسم له ابتسامة بثّت الطمأنينة في صدره.. واصل الصبي العزف.

obeikan.com

صوت الهدهد

obeikan.com

خفيفة حدَّ التحليق.. تجوب الشوارع كراقصة باليه نبت لها جناحا فراشة للتوِّ..

وكأنها تستنطق كل المنعطفات البائسة؛ لتدلها على أشيائها الضائعة في رحلة استئناف الحياة اليومية..

تحتضن أوراقها، كتلميذة بزيٍّ مدرسيٍّ منفوش وجوارب بـ(كورنيش) أبيض وحذاء أرضيٍّ خفيف..

تمشط الطرقات بحثًا عن حلم كان ها هنا نابضًا في الخيال، وفتَّته تعاقبُ مدٍّ الضغوط، وحملته أمواج الواقع بعيدًا.

المنزل القديم الذي سكنته طويلًا، لم تعدْ قادرة على تحمل قوانينه بعدما تحررت منها لبعض الوقت..

استعادة بعض ما فقد في مضمار العادي.. يدفعها للتفتيش داخل خزينة العمر عن ابتسامتها المطوية لتعيد حبكها فوق الشفاه..

يستدعيها بكاء الصغير.. تهرول إليه.. تضمه.. تداعبه حتى تتبدل حاله بالضحك المرسوم على ملامحه الدقيقة كلها.. حتى عينيه المترقرقتين بالدموع..

فمه المفتوح يشي ببروز لؤلؤة بيضاء صغيرة تخترق اللحم الوردي محاولة الظهور.. تلك التي يتجاوز بريقها تلابيب القلب.. تتسع ابتسامتها تحمله بين يديها عاليًا، ويدوران معًا بهُيام رقصة صوفية محاطين بالنشوة..

تخرج من ملابسها جهازَ تسجيلٍ رقميًّا صغيرًا.. تديره.. ينبعث منه حكايات مسجلة على ألسنة الحيوانات والطيور..

يبدأ الهدهد في تلاوة الحكاية..

تصيح بطفولة: اسمع ماما.. صوت ماما

يتأمل الصغير أمه في دهشة

السيدة المسنة تخترق المشهد بملامح تنطق بالتبرم.. تتساءل عن جدوى الأمر برُمّته، ساخرة من سذاجة ابنتها التي لم تقدر بعدُ كونها أُمًّا!

عقب وصلة ليست بالقصيرة من التقريع.. حملت صغيرها وتقوقعت داخل غرفتها..

حاولت تجاوز الأمر.. فتحت نافذتها الإلكترونية.. حمّلت المقطع الصوتيّ في محاولة لترميم فرحتها.. جلست تنتظر عبارات الدعم والتشجيع..

تصلها دعوة إلى الاتصال المرئي.. تقبلها،

opeikan.com

على الطرف الآخر وجهٌ شاحب يبتسم بهُيام.. يهنّئها باستعادة موهبتها القديمة، يشجعها على الاستمرار في التمثيل الصوتي، وإن كان الأمر تطوعيًّا، يكفيها أن يكون مصدرَ سعادةٍ لها..

جلست تتأمل عينيه الغائرتين وعلامات الوحدة والانكسار على قسماته، وتجيبه بالابتسام..

كم من الوقت مضى قبل سفره.. دون أن تنظر داخل عينيه مباشرة؟.. ومتى توقفا عن مطالعة وجهيهما؟..

هل أثقلت الأعباء ظهورهما حدَّ أنهما لم يستطيعا رفْعَ عينيهما عاليًا.. وهل كان سفره الحلَّ الأمثلَ لدفع الدَّيْنِ المستحَقِّ؟..

هل البعد حلٌّ لقتل مشاعر العجز داخله.. تجاه امرأةٍ اختارتْه رغم أنف الجميع؟.. هل كان عليها أن تظهر سعادةً كاذبة؟.. وكيف لها أن تظهر بريقًا انطفأ؟!

ظنَّا منهما أنهما قادران على ليِّ ذراع الكون من أجل أن يكوناْ معًا.. ولكنه كبَّلَهما معًا ظهرًا لظهْرٍ فازدادتْ وحشتهما..

أصبح لقاؤهما الافتراضي محاولة للكذب المشترك.. أصدق ما فيه ضحكات الصغير كاستراحة بين محطات الوجع.. إشراقته المطبّبة دافعهما للتحمُّل.

تخبره عن مفاجأة ابنهما الذي بالكاد يحبو، يتحايلان عليه طويلًا ليفتح فمه أمام الكاميرا؛ ليرى أبوه بزوغ أول أسنانه.. يتمنّع الطفل.

تبدأ في استخدام صوت الهدهد.. يستجيب الصغير فاغرًا فاه.

يلمع رأس سنَّه الدقيقة.. يتجاوز بريقها القلب المثقل حدَّ استئناف النبض..

يضحكون جميعًا.. تستمر في أدائها الصوتيّ

تفتح أمُّها باب الغرفة.. ترمقها باستهجان..يكتمانِ أنفاسهما جميعًا.. وتستمر ضحكات الصغير...

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

مسمار صدئ

(١)

لم يخدعهم.. كانوا جميعًا يعلمون أنه على الرغم من أبهته ولمعانه وتفرده.. يمزق سترهم عند الجلوس، وتسابقوا لاعتلائه.. المسمار الصدئ بين ثناياه قادر على التقاط كل أنواع النسيج.. لا يغادره أحدهم إلا بمزق يبين كل رَتَقِ الضمير..

(٢)

في لعبة المقاعد كان الأشرس.. لم يسلم من نتش وخدش وكدمة.. تبادلوا جميعهم الركلات واللكمات والخربشات، ونهشوا لحوم بعضهم البعض..

فاز بالمقعد الأبرز.. كان يعلم جيدًا أن عليه ألا يغادره أبدًا.. إذا أراد الحفاظ على سلامة ملابسه.. لفَّ وسطه بظهر المقعدِ، وثبت أرجلهما معًا بحبال قوية.. وأدار ظهره.. استراح لجلسته.. وأخذ الصدأ ينتقل إليه من النتوء المعدني.. ويتوغل في خلاياه حتى أصاب روحه.. كان عليهم تمزيق الجثة لإزاحته لاحقًا..

(٣)

نزيف الصدأ من داخل المقعد.. لم يحُلْ دون صراعات الوصول إليه.. المترفّعون زادوا سخطًا على الحلبة الملطخة.. المتفرجون ملّوا من المتابعة.. وظلّ المسمار قائمًا.

obeikan.com

obeikan.com

ذات الشعر الرمادي

obeikan.com

لم يستمع يومًا لكل العبارات التي تصفه بالجنون، لم يوقفه سيل اللعنات اليوميّ الذي تصبه زوجته السليطة على أذنيه.

كان العم إبراهيم يسير من الطريق العمومية وسط نظرات التشَفّي والشفقة، وهمهمات وتهكُّمات الجميع، ويمر بمحاذاة الترعة.. مداعبًا فروع أشجار الصفصاف التي تهدَّلَتْ في دلال؛ تغتسل من المياه الراكدة، ويعبر الجسر الضيق المبنيّ من جذوع الأشجار وقطع الخشب البالية، المصقولة بالطين؛ ليستقر به المقام في الضفة الأخرى على قطعة الحجر التي ألفت جسمه.

مسندًا ظهره على النخلة البور التي لم تسقط عليه رطبًا قطُّ، معلقًا بصره بالقضبان المثبتة في الأرض، يتلفت من حين لآخر ينظر إلى اتجاه الظل وموضع الشمس.

كلما حان موعد قطار.. أسرع إلى القضبان ناثرًا الماء من الصفيحة التي قرأ عليها الزلزلة والمعوذتين وخواتيم سورة البقرة.. ويعود ليسجل علامة على الصفحة الترابية أسفل قدمه بعود الحطب الذي يقلب به الجمرات، تحت غلايِ الشايِ الذي اعتاد أن يشربه مع بعض لقيمات الخبز اليابس إن وجد..

كثيرا ما ترددتْ عليه امرأته محاولةً إثناءَه عمّا يفعل، صارخةً في وجهه.. لاعنةً الجنيّة وعقله الخرب الذي يصورها له تتربص بالقطارات، وما يفعله ليس سوى ضربٍ من الجنون،

فإن تكن هناك جنيةٌ حقًّا.. فأنَّى له أن يصرفَها وهو لم يعرف السجود قط؟!!

كانت تنهره وتتعالى صراخاتها طالبةً منه أن يبحث عن عمل مُجْدٍ؛ فقد تقرحت يداها وخارت قواها من التنظيف في بيوت القرية، لإطعام الأفواه الجائعة..

فيجيبها حانقًا: وذات الشعر الرمادي، من يحمي القطارات.. وعيونها الحمراء تتقد من وجهها الكالح! أرواح الناس يا عالم!!

صراخها ازداد يومًا بعد يوم.. صار صداه مُدَوِّيًا في بلدتنا.. وفي المقابل ازداد صمت العم إبراهيم وانحناءاته.. حتى كادت جبهته تلامس الأرض.

لم يعد يجيب اللائمين والناصحين سوى بالدموع المترقرقة داخل مقلتيه..

استردّ صوته لمهمة أخيرة.. فكان يجيب العابثين بجملة قصيرة: «تبقى قطار».

لم يكن أحدٌ يدرك أن العم إبراهيم يخطط للرحيل.

سلم نفسه للقضبان التي يعشقها.. التهمه القطار الذي طالما ظن أنه يحميه..

كان آخر ما لفظ.. خطبة مطولة في وجه زوجته، أنه خلق لردع تلك المراوِغة التي تظهر تارةً في صورةِ قِطَّة رَماديّة، وأخرى في صورة عجوز شمطاء..

عن كون الطل أرحم من صوتها وصراخ الصغار..

وانطبعت أشلاؤه على السكة الحديد.

اكتست القرية بالحداد لبضع ساعات؛ حزنًا على المجنون الذي أنهى حياته الغريبة فجأة!

إلا أنهم في اليوم التالي أقاموا سرادقًا عظيمًا، وتنافسوا في إحضار المقرئين؛ طالبين العفو من (المبروك).. نفسه الذي كان يحيا بينهم بلقب المجنون.

كل ذلك لأن قطار الصباح انحرف عن مساره ولم تتبدل التحويلة، فكثر البكاء والنواح على العم إبراهيم، وزادت مصمصة الشفاه: «من سيحارب الجنيّة من بعدك يا عم إبراهيم؟! خسرناك يا (مبروك)!!».

الحجر الذي اعتاد الركون إليه أسفل النخلة البور.. صار مقامًا له قبة خضراء مدهونًا بالجير الأبيض، وتساقط عليه النذور والهبات ويتوافد إليه المريدون..

وتفرغت امرأته لرعاية المقام وإنارة الشموع وأعواد البخور، جنتْ ثروةً صغيرةً من بَيعِ أغراضِه لأهل القرية، وكانت دائمًا ما تسأله الشفاعة!

سمیط ساخن

obeikan.com

أصرّ أن يعاود كيَّ (الباريه) بنفسه، لفّ الفوطة جيدًا...حشرها مكان الرأس، رشّ رذاذ المياه وبدأ كيَّه بحنكة الميري.. هندم ملابسه وبدأ في إغلاق سترته بالأزرار الذهبية اللامعة...

تأكد من تثبيت النجمة الثالثة فوق كتفيه، استعدَّ جيدًا للصورة الجديدة... فلكلِّ رتبة صورة، وهو قد حصل لتوِّه على الترقية... أدّى التحية العسكرية في المرآة المعلقة جوار باب الشقّة، وبدأ يتدرب على نطق اسمه مسبوقًا بلقب (النقيب)... «تمام يا فندم».

هل تستحق تلك النجوم لفحة الشمس ومياه الآبار ورياح الصحراء وسنيَّ العمر المُهْدَرة؟

هل كان سيجيد العمل في التكييف.. أم أن الخيام والثكنات أكثر ألفة؟

الكثيرون من دفعته يعملون في العاصمة والمدن... وهو مشتَّت في الصحراوات ما بين حدود الشرق والغرب... الضمير وحده لا يكفي... ما الذي جناه من التفاني في العمل؟ فقط حقد زملائه ومعاداة قادته.

فليكُفَّ عن محاربة طواحين الهواء، من قال إنه فارس هذا الزمان الوحيد؟!

لا يُهِمُّ، يكفيه حبُّ الجنود وراحة البال... فجسده المنهك ..كل ليلة يُسلِمُ الفكرَ للنوم العميق.

الإجازة قصيرة كعادتها دائمًا، وعليه أن يلجأ إلى التصوير السريع، أدار مقبض باب الشقة.. همَّ بالخروج.. استوقفه صوت معاناة مفصلات صدئة من الطابق السفليِّ، وخطوات يعرف وقع صوتها جيدًا، وإن كانت أوهن مما تعود..

اضطرب قليلًا بين الخروج والبقاء، وساعده تلاشي صوت الخطوات على نزول الدرج.

بالأسفل كان صديق طفولته يعبر الطريق في جلبابه الناصع ولحيته القصيرة النابتة في وجهه الشاحب.. خرج لتوِّه من المعتقل بعدما ذبلت داخله زهرة عمره.. كل ذلك من أجل كارنيه جامعة لعين.. ما الذي جعله يتطوع ويعرض على صاحب الكارنيه تجديده؟!

كان يلوم نفسه كل يوم طوال تلك السنوات، وهو يدرك جيدًا أن القدر جعله يحتفظ بالكارنيه، وينسى أن يتخلص منه، بعدما قُبض على صاحبه في حادثة الإرهاب الشهيرة.

أن يجدوا الكارنيه في بيته أثناء التفتيش.. كان تهمة كافية ليقضيَ بقية عمره داخل المعتقلات، لولا تدخل القدر مرة أخرى.. أخرجته الثورة..

إنه طليقٌ الآن، وهذا كل ما يعنيه.. مقبولٌ بعد معاناة الرفض والاضطهاد... علمته الليالي الباردة المظلمة الطويلة أن الله خير رفيق ومؤنس ومعين..

فاستغنى به عن البشر، وأن معتقلي التيارات الدينية هم الأكثر إخلاصًا، إلا أن النيات الطيبة وحدها لا تكفي.. إذا فسدت مرجعية أفكارهم، فليكفَّ عن النقد، وليتغاضَ عن زلّاتهم ونواقصهم، وليحاولِ استئناف الحياة من جديد.

توقف أمام محل البقالة الكائن في مواجهة منزله.. طلب علبة مناديل ورقية..

في تلك الأثناء خرج جاره من باب العمارة في كامل زيه العسكري.. وقع المحظور، وتلاقى الوجوهان.

هل عليه أن يصافحه، أم أن في ذلك إحراجًا لمركزه.. وهو يدرك جيدًا خلفية انتمائه، كما أنه خرج للتوِّ من المعتقل؟!

هل يصافحه؟! لربما نقض وضوءه، وهو في الأصل خارجٌ للصلاة، وكيف يضع يده في يدِ أحد أذرعِ حاشية الملك؟!

وأية ثورة تلك التي تنزع الملك وتترك حاشيته؟!

لم يكونا بعد على استعداد لاستئناف أدوار الكبار المعلنة على واجهة المرحلة المسماة «الانتقالية»..

كانا كسائر الصغار صادقين أكثر مما ينبغي.. حتى إن الابتسامات الصفراء لم تسعفهما؛ فتنافرا.

وحمادة –ضحكة الشارع– الساكن في الطابق الأرضي من العمارة نفسها.. الصبي صاحب الأعوام السبعة.. كان يلعب البلي مع رفقائه على أحد جانبي الطريق.

كانا في مثل عمره تقريبًا، يتدحرجان كالبلي على الطريق كل صباح، وقد تقوس الواحد منهما أسفل حقيبة ظهره المدرسية الثقيلة.. يتبادلان القفشات، يركلان الحجارة، يخرج أحدهما عملة معدنية يقذفها في الهواء، ويسأل صاحبه: «ملك ولا كتابة؟».. ليجيبه الآخر.

ويظلان هكذا، وقبل أن يصلا إلى باب المدرسة، يعرجان على المخبز الآلي، يدفع أحدهما العملة المعدنية، ويتناول الآخر سميطة كبيرة ساخنة غارقة في السمسم.

تتناثر رائحة الخبيز المعجون بالحنين..

وحمادة لمح رفيق المسجد يشتري المناديل.. أسرع نحوه ممنيًّا نفسه بالحصول على سبحته الفيروزيّة الخلابة؛ ليلهو بها في الطريق إلى المسجد.. إلا أنه رأى صاحب الزيّ العسكريّ على الجانب الآخر من الطريق..

خشي أن يفوته ارتداء (باريه) عمو الضابط كما تعود.. فهرول في اتجاهه.. بدأ الأول في التحرُّك من أمام المحل.. تراجع حمادة باتجاهه..

وقف مترددًا في منتصف الطريق.. يتحرك حركة شبه بندولية مضطربة..

أما الصديقان القديمان.. فحزما أمرهما بالهرب.. اتفقا أن يتجاهلا رؤية بعضهما البعض.. فلا هما يجيدان استئناف أدوار قادتهما المعلنة على الشاشات موحدةً بالمصالح، ولا التخلي عن ذلك الانتماء الذي يحتويهما حدَّ التعصب.

بدأ كل منهما يسير في توازٍ مع الآخر في طرف من الطريق.. تاركَين حمادة وراء ظهرهما يركض في المنتصف..

يعلو الاصطكاك فجأةً، فرملة مدوية.. فزع وصرخات.. محرك يدور ويسارع بالهرب.. كلاهما في حالة ذهول..

الأشلاء مبعثرة على جنبات الطريق..

الدماء طالت كل شيء:

وجوه الصبية.. البلي الملون.. محل البقالة.. السيارات المركونة.. المقهى على الناصية.. حجارة الرصيف.. الجلباب الأبيض.. والبذلة الميري.

كانت الدماء تفور وتتزايد.. لتغمر كل شيء..

دماء دافئة كدفء السميطة التي اعتادا أن يقتسماها سرًّا في الحصة الأولى.

عربة اليقطين

obeikan.com

الوجوه المكررة كل صباح تتماهى.. تتقارب.. تتمازج، ننتظر العرافة الطيبة.. فتأتي عربة اليقطين بخيولها المسحورة، وتبقى العرافة على موعد دائم لا يجيء.. لعلها يومًا ستأتي تلقي تعويذتها فنعود لشارع جانبيٍّ مليءٍ بالصبية، كرة من الجوارب القديمة.. سبت دائم التدلّي لنؤرجحه.. وتهليل وصفير وركض تجاه المزلقان، كلما أصدر إنذاره مُنبهًّا إلى مرور أحد القطارات العابرة.

أما وقد أصبح القطار يحمل بعض ملامح ركّابه الدائمين، فانعكست على ملامحهم محطات الوصول.. كانت هناك محطة انتظار دائمة مُقامة بين عينيها.

دائمة الترحال هي.. فقطار العمر يحملها من سنوات تتعدى العشر.. في السنوات الأولى أرهفت السمع لصرير القضبان واحترفت الصمت.. متشبثة بكتاب.. أيّ كتاب تطالع فيه بعضًا من ملامحها المنسية.. لوح القماش.. الفرشاة.. رائحة ألوان الزيت.. وقصيدة ما زالت أبياتها تتأرجح في الذاكرة.. أما السنوات التالية.. فلم يتبق منها غير ثرثرة الراكبين ورائحة الشحم.. اجترار مشاقّ الذهاب والعودة، ووجه فتاة مسدلة العينين رسمته فوق قميصها القطنيّ الأسود.

كل شيء يذبل بالاعتياد.. تحيله الأيام إلى اللون الرمادي الكالح.. كرسمة سريعة تنفلت من بين أناملها خلسة، بقلم رصاص تتعمد إبعاد سنه عن الورقة؛

كي لا يترك آثاراً ثقيلة فوق أوراق العمل..

لذا لم تعد أذناها تشتاق لسماع الصوت المحبب لها، حيث وشوشة القلم للورقة البيضاء.. بعدما اعتادت صوت الماكينات وعمال الإنتاج..

العرافة لا تجيء.. وكذلك عربة اليقطين.. لماذا يعلن عصيانه وتمرده ويرفض التحرك؟! جئناك يا صاحب القضبان نسأل عن وجهتنا.. عن محطات التوقف.. عن إمكان محو تلك الذكريات المؤلمة من الطريق، وعن تذاكرنا التي تحمل أرقامًا باهتة تكاد تكون محذوفة.

هل لك أن تجيب.. أم أنه فقط ذلك الفراغ المستفز حتى من صفيرك المزعج؟!

أنعود أدراجنا.. أم نلتمس طريقًا أخرى؟!

لم تكن تدرك أنها بقرار العودة.. أعادت بعض الأشياء التي فقدتها.. انتزعتها من أسفل «الفلنكات» الرابضة بين القضيبين، كان عليها أن تدرك لِمَ العودة، وفيمَ؟؛ لتعود لأشيائها المنسيّة.. تملأ فراغ الورقة بالرصاص.. تصور كل مساحات الضوء والظلّ داخلها.. وتستحضر كل الأسئلة التي دفنتها مع كل الأحلام المنسية..

متى بدأت تستخدم بعض الألوان الباهتة الخجول؟ متى انطلقت مرة أخرى لجرأة اللون؟ ومتى عادت تصنع الألوان وتركبها من جديد؟ وفق ذلك اليقين القديم بأن اللون إن لم يَنْسَبْ منها وتملأ رئتيها برائحته.. لا يصلح للرسم، لا يهم..

المهم أن كل الجدران حولها أصبحت تنطق ببعضٍ منها.. بُعِثَ بعد طول رحيل.. وأن عليها استكمال اللوحة المكفنة هناك من زمن بعيد..

اللوحة الصارخة بكل الألوان التي مزجتها، ولم تكتمل..

في انتظار ذلك اللون المجهول.. اللون القادر على طلاء أفكار عاشت فيها حتى أفنتها بالبهجة.. لون الانتظار..

ربما يأتيها اللون ذات صباح.. على رصيف محطة القطار؛ ليسكن بين عينيها دون رغبة في السفر.

obeikan.com

obeikan.com

خیط مهتری

كل الكوابيس التي اعتادها خاصمته.. تاركة له صخب أصوات المقيمين داخل رأسه.. الأفكار المتصاعدة من عقله ترتطم بسقف الجمجمة، وترتدّ متخبطة بكل علامات الاستفهام السابحة عبر ذاته، يتعالى صريرها داخل أذنيه كمجموعة من الصفائح الفارغة، تعبث بها الرياح فتصفع بعضها ببعض.

حفل من التشويش الصاخب.. قليلًا ما يخفت بعد فوران قهوته الصباحية. بعدما ينسكب ظلّ الطائرة الورقية الذي يراقبه على صفحة القهوة يرتفع.. ظنًّا أنه قد يتحرر للتحليق.

القهوة تزيد اتساع قطري حدقتي عينيه، وإن كانت توتر أعصابه طوال اليوم.. النوم القلق المحدود يجعله أقرب للسكارى في سيره المضطرب..

ينكمش داخل وظيفته الحكومية.. يلتزم بمساحته الجغرافية على هامش المنظومة.

يفعل ما اعتاد أن يفعل.. يصطك بأذنه السؤال المعتاد عن جدوى ما يفعل.. يلقيه داخل غياهب ذاته المكتظة بالأسئلة.. والتي لم يعدْ قادرًا على تجاهلها، بعدما لمحهما تسيران متوازيتين بدءًا من مفرق الشعر، تغزوان السواد الفاحم بشيبتهما الناصعة.

كل مراحل العمر المؤجلة تزدحم ببوابة الكهولة..

فهل يستطيع أن يمررها جميعًا ليحياها دفعة واحدة؟

وهو اعتاد أن يقلص أحلامه الصغيرة، ويعيد حبكها على جسد واقعه الضئيل.. طالما تطلع إلى التحليق، كان صبيًّا يراقب الطائرات الورقية في السماء تزهو بأذيالها الملونة، تناطح السحاب، يتابعها من بين أسلاك الكهرباء وحبال الغسيل، وأشياء أخرى تزحم سماء حارته الضيقه.. يشب قليلًا.. يشد جزعه.. يقفز.. يودّ أن يلتقط خيط إحداها.. يتعرقل ويسقط بقبضة خالية،لكنه استطاع أن يستبدلها بكيس بلاستيكيٍّ شفاف، وخيط ضعيف صنع منهما لعبته المفضلة.

لم يشعر بالتحليق إلا في ذلك اليوم بين الجموع.. كان يهتف بطاقةِ الصمت التي اقتنات منها سنواتٍ طوالًا.. رافعًا ذراعيه لأعلى، وقد تشابكت كفّاه، وكأنما قبض أخيرًا على الخيط.. والطائرة تحلق في سماء الميدان الفسيحة، بذيل كثيف يحمل ألوان العلم الثلاث.. تعلو وتحمله معها باتجاه السحاب...

كان يراها حتى في عتمة الضباب الدخانيّ الكثيف.. عندما اشتد الضرب لم يفلت الخيط.. كان يقاوم الإغماء باستنشاق الخلّ والبصل وعبير الأحلام المؤجلة..وسقط..سقط منحنيًا فوق الشاب الذي نحّاه عن مرمى قذيفة الدخان من قبل.. كان يفتش عن مصدر الدم المتدفق من رأسه في هلع.. والشابُّ أسلم الروح مبتسمًا..

كان يخط اسمه ورقم هاتف زوجته على ذراعه اليمنى، بينما كتب على ذراعه اليسرى: «قولوا لمريم.. بابا راح يجيب لها حرية».

وظلت ابتسامته منبع الأسئلة التي تؤرقه. ننفق الكثير من العمر في معرفة ماذا نريد.. والأكثر في البحث عمّا نريد.. أما الأكثر على الإطلاق.. فننفقه في طرح سؤال واحد دون ملل: «هل هذا ما نريده حقًّا؟!».

متاهة النفس تضنينا بالحيرة، يتآكل العمر بين حواجزها ونفنى قبل أن نجتازها.

ممنوعٌ هو مِن مشاهدة نشرات الأخبار والبرامج الحوارية وقراءة الصحف بأمر طبيبه النفسيِّ.. الأصوات التي تحتل عقله تقوده إلى الجنون.. الجميع يتنازع داخله، وتبقى ابتسامة الشاب.. الشيءَ الصادقَ الوحيدَ.. رعشة أصابعه تحول بينه وبين التقاط الخيط.

والطائرة تحلق فوقه أينما ارتحل.. نتيجة وحيدة صالحتْ جفونه مرةً أخرى.. وأخرست كل اللغط.. عندما أدرك أن التضحية من أجل احترام الذات –الذي قد يجيء بالموت، في وطنٍ لا يحترم الأحياء– أمر يستحق الابتسام.

قسط من النوم جعله يقبض على الخيط من جديد.. يحاول رفع ذراعيه.. يبحث عن اتجاهٍ للمُضيِّ.. عن هُتاف.. عن رغبةٍ في التحليق.. ينقطع الخيط.. تبتعد الطائرة.. تتلاشى شيئًا فشيئًا.. تبتلعها السماء.

obeikan.com

(هيلتون) الوحدة الصحية

الفراش الوثير جدًّا ناصع البياض يشعره بالانقباض.. يخشى وضع جسده المنهك داخله فيبتلعه كالكفن..

هو لا يخشى الموت، فقط يخشى أن يُسأل عن موتته المنعّمة..

يراقب حقيبة ظهره الملقاة فوق أحد المقاعد تراوده بحملها والرحيل.. ينظر إلى معصمه.. عقارب الساعة تشير إلى أنه لا مجال للمغادرة..

يشيح ببصره عن محتويات الجناح الفاخرة.. يهرب إلى الشرفة؛ بحثًا عن أكبر قدر ممكن من الهواء ينقذ رئتيه من الانقباض..

النيل المزركش بالأضواء اللامعة على مرمى بصره.. يظهر المدينة كعروس أفرطت في زينتها..

ما إن نظرت أسفل ثوبها.. حتى وجدت جروحًا وندوبًا وألفَ شقٍّ في القدم، يحوي ثعابين وعقارب وبومًا وعصافير لا تغرد، وفراشاتٍ فقدت ألوانها ونباتاتٍ ذابلة..

المشهد المفتوح يزيده انقباضًا.. ينظر لأعلى محاولًا فهم الاختلافات بين نجوم سماء العاصمة، ونجوم تلك القرية النائية التي قضى ليلته بالأمس فيها..

السماء.. تبسط نجومها الوضاءة على الجميع..

القمر لا يحجب إنعكاساته عن بقعةٍ ما..

بالأمس.. لم يكن قادرًا على النوم داخل الوحدة الصحية.. السرير الجلديّ المتآكل متسخ الأطراف خشن الملمس.. لم يكن يساعده على الاسترخاء.. الحفل الصاخب لجيوش الناموس حول وجهه.. كاد يقوده للجنون بعد يوم مرهق حافل بالصخب..

لمبة الجاز التي أخذت شعلتها تتراقص خلف الزجاج، راسمة على الحائط تشكيلةً متنوعةً من الأشباح التي جادت بها مخيلته.. مستدعيًا كل أفلام الرعب التي شاهدها.. كانت تشاركه حصَّتَه من التنفُّس.

لم يختلف دورها كثيرًا عن معطر الجو داخل شقته الفندقيّة.. التي يقضي بيها ليلته اليوم.. كلاهما يسحب الأكسجين منه..

بالأمس كان دوره ظاهريًّا.. منحصرًا في تقديم ورشة تأهيليّة لشباب القرية؛ لتأهيلهم لسوق العمل..

ما إن وطئت أقدامه الطريق الترابية بملابسه النظيفة ونظارته الطبية اللامعة وحقيبة ظهره التي تحوي أوراقه وملابسه وحاسبه المحمول.. حتى توالت عليه الطلبات.. أليس هو البيه القادم من هيئة حساسة؟!

ما الذي يملك فعله تجاه الكهرباء التي بالكاد تجيء البلدة!.. أو شبكة الصرف الصحي التي لم تزُرْهم بعد؟ وما سلطاته للتعجيل بعلاج الشباب العشرينيّ على نفقة الدولة قبل أن يلفظ روحه في انتظار الدور؟

البؤس في وجوههم المثقلة بالتمنّي، وعيونهم المعلقة بكلمة يلفظها.. جعلته يختبئ خلف نظارته..

ظهره الذي لم يعد يتحمل ثقل همومهم.. يبحث عن ظهرٍ يأوي إليه..

« الصيت ولا الغنى».. صحيحٌ أن عمله داخل مشروع يدار من مكتب تكنولوجيا معلومات تابع لهيئة رفيعة المستوى لا يمنحه الغنى.. ولكن القليل من الصيت مفيدٌ أحيانًا.

قد لا يكون المارد الخارج للتوِّ من الفانوس السحريّ، ولكنه قادر على المحاولة..

من داخل دوار العمدة يرفع سماعة الهاتف.. يخاطب الموظف المسؤول بشركة الكهرباء مشدِّدًا على موقعه الوظيفي قبل اسمه..

– ما الذي يعنيه انقطاع الكهرباء بشكل دائم هنا.. سوى الاستهتار والإهمال الفج؟!

– صدقني يا أستاذ.. الأمر خارج عن إرادتنا.. إنها أعمال الصيانة.

– ليست مشكلتي أبدًا، ولماذا لا تقومون بالصيانة ليلًا والناس نيام؟

– سنقوم بحل الأزمة في أقرب وقت.

– أقرب وقت يعني لي: اليوم.

هكذا ببساطة عادت الكهرباء.. لتنقطع بعد منتصف الليل لأعمال الصيانة!

بعد انتهاء التدريب ومحاولات الهروب من آمالهم المعلقة بناصيته.. رفض المبيت في دوّار العمدة لتستضيفه الوحدة الصحية..

سرعة الانتقال للمهمة التالية، لم تُتِحْ له الفرصة لاجترار كل الأحداث الصعبة للتقييم..

فهو اليوم من ضمن فريق مضيف لوفد من الشباب العربيّ لعدد من الدول، بهدف توطيد العلاقات.. جلسات حوارية.. نزهة نيلية.. حفلة ختامية صاخبة بهيلتون رمسيس..

الحقيقة أن الشباب والفتيات على قدرٍ من الوعي.. جعلهم يعبرون عن قضاياهم وأوجاع أوطانهم رقصًا وعربدة!

يراقب اليوم بعيون لم تسقط صور الأمس بعدُ، ويتساءل عن الفجوة الشاهقة بين بقعتين على الأرض نفسها..

ينتهي به الأمر وحيدًا أمام شرفة تطلّ على معالم القاهرة..

يتساءل عن كمِّ الأفواه الجائعة في القرية، والتي يمكن إطعامُها بمبلغ مبيته اليوم في الفندق..

لماذا لا يترك الأمر برُمَّته.. لافظًا كل المرارة داخل حلقه، متحرِّرًا من صراع الأفكار.. وشعور العجز والضآلة.

ما زال يتذكر كلام أستاذه في الجامعة.. عندما قرر تحويل مسار دراسته تاركًا إحدى كليات القمة بعد مضيِّ ثلاث سنوات: «قليلون.. مَن يملكون شجاعة التراجع وعدم الامتثال لاتجاه السير وصنع نقاط تحويل المسار لبلوغ غاياتهم الحقة».

هل كانت كلماته حماسيّة بشكل كافٍ.. لجعله لا يندم على قراره، بل ويصبح من أكفأ وأبرز الطلبة الأوائل لأربع سنواتٍ من الدراسة.. ويخرج للمنافسة على تلك الوظيفة بمجهوده الشخصيِّ وينالها من بين أكثر من خمسين متقدمًا..

كان شابًّا أعزب بلا مسؤوليات ضخمة، متخمًا بالأسئلة الوجودية.. معنيًا بفهم ذاته والكون، يبحث عن مكان له على خريطة الإنسانية... أما وقد صارت الخريطة الآن ضبابية كشوارع المدينة المغرقة بالعوادم..أما زال يملك رفاهية التراجع بعدما ضاقت مساحات التجريب؟!.. يخشى كل الخشية أن يرى الخذلان داخل عينيها،.. فكل انتصاراته لا تعني شيئاً أمام إحساسه بالفشل تجاهها.. يلامس خاتمه الفضي حول بنصره اليمنى.. ينتشله من أفكاره نور الاصباح.. يبدأ النهار في تعرية المدينة المتسترة بالظلام.. فتبدو باهتة وكالحة من أعلى، وكأنها غسلت تبرجها المسائيّ لتظهر هالتها والبقع والكلف..

يحمل حقيبته ويرحل قبل صحو الجميع...

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

سن النحلة

(١)

يحاول الحفاظ على ارتكاز الحجر فوق ظهر كفه الصغيرة، يحجل مراعيًا اختيار المساحة الآمنة لقدمه بعيدًا عن الخطوط المرسومة بالجير الأبيض، يتنقل بخفة غزالة ووَثَبات فهد.. يريح قدميه بعد منتصف المسافة، عندما ينشطر المستطيل الجيريّ لمستطيلين متجاورين.. يتأكد من استقرار الحجر.. يعاود الحجل إلى داخل المستطيل المخطوط داخله الرقم ستة.. ينظر بتوجس من خارج نافذة منزله الأرضي.. تُصْدَمُ عيناه بصورة أبيه على الجدار المقابل للنافذة، يقفز بكلتا قدميه داخل المستطيلين في نهاية الرسم الأرضي الخاصّ باللعبة، يرتعش الحجر أعلى كفه كضفدع يهم بالقفز.

عينا أبيه ترصدانه.. تطلقانِ نظراتهما النارية من داخل الصورة.. تتملكه الرهبة.. يخشى أن يشيح ببصره موليًا إيّاها ظهره للاستئناف.. ينكّس يده مُطْلِقًا الضفدع الصغير.. يغادر اللعبة..

(٢)

الكرات الملونة المبعثرة هنا وهناك، بقوة اصطدام الكره البيضاء، المدفوعة بركلةٍ من عصاه الخشبية المستندة إلى ذراعه القوية.. تجعله يتساءل عن تأثير كرة واحدة في منظومة الكرات داخل المثلث، رغم أنها جميعًا متساوية في الحجم، تحمل أرقامًا مختلفة لا تمنحها قيمة عند البقاء أعلى الطاولة، وإن

كانت تتجلى قيمتها عند السقوط داخل الشبك المدلى من الفتحات على الأطراف.

يناور الكرات مستخدمًا بعضها ضد بعض، ومستعينًا بالحواجز الخشبية المحيطة بالمساحة الخضراء.. لا يعنيه الفوز أو الخسارة.. قدرَ ما يعنيه أنْ لا سلطةَ هنا سوى للتخطيط الجيد ومهاراته في تقدير الدفعة..

(٣)

على الغداء، كان أبوه يجلس في مكانه المعهود على رأس الطعام.. طرح استياءه من جيل غارق في الاستهلاك حدَّ الانبهار بكل محدث.. ضاربًا المثل بشقيقه الصغير صاحب السنوات الثماني ، ونحلته البلاستكية الهشة تلك التي تغني وتضيء بألوان مختلفة.. محاولًا مقارنتها بالنحلة الخشبية القديمة ذات السنِّ المدبَّب، تلك اللعبة التي كانت تجمعهم في الشوارع والأزقّة، يتبارى المتبارون فيها بلفِّ النحلة بالدُّوبارة جيدًا محاولًا بقذفها طعنَ أجساد نحلات زملائه، وإحداث جروح عميقة داخل نسيجهم الخشبي..

هنا قاطعه، مستنكرًا أن تكون المتعة في طعن مباهج الآخرين..

كانت المرة الأولى التي يقاطعه أحد أبنائه، غادر الطعام ثائرًا في موجة غضب هادرة، لاعنًا تطاول الصغار.

(٤)

المحادثات الإلكترونية المحفوظة، والتي لا يجيد أبوه حذفها من مواقع التواصل الاجتماعي لجهله بتقنيات التكنولوجيا.. كانت بمثابة مذبحٍ لكل الأشياء التي هابها يومًا، مكبّلًا بالطاعة..

صورته المعلقة على الجدار صارت غارقة في الأتربة..

عيناه داخلها، والتي كان يراهما من قبل تتنقلان في كل الاتجاهات تنظران وترقبان، صارتا متحجرتين مثبتتين شاخصتين للأسفل دائمًا..

بينما أخذت الصورة في التضاؤل.. كبرت نحلة أخيه بهالة الأضواء المنبعثة من دوارنها كقوس قزح، يشعُّ خارج حدود منزله الأرضي.

الركض على الحبل

obeikan.com

على صوت قرع الطبول المتوترة المتسارعة، والموسيقى المتحفزة التي تحبس الأنفاس.. تتحسس قدمه بداية الحبل، يتأكد من عدم ارتخائه.. يحمل كل العصيان على كتفيه عند المنتصف.. يوازن أحماله جميعًا..

الدنيا بالدين، الرغبة بالضمير والحرية بالمسؤولية.

يرتعش الحبل تحت قدميه.. تتعالى الموسيقى وصيحات الجمهور.. يتصبب عرقًا.. يخفق قلبه بعنف.. يخطو.. تنسحب روحه بعمق ارتفاعه الشاهق عن الأرض.. تتوالى الخطوات.. يهتز الحمل.. يسرع.. يقف في منتصف المسافة لالتقاط الأنفاس، ويكمل الطريق دفعة واحدة، يعبر بسلام تتلقفه زوجته عند الطرف الآخر من الحبل، تحيط وجهه بكفيها.. تطبع على جبهته قبلة حانية.. تلحّ عليه في النهوض كي لا يتأخر عن عمله.. يجلس مشدوهاً على سريره.. يستعيد تفاصيل ذلك الحلم داخل الخيمة الكبيرة ذات الأعلام، والمكتوب عليها بالنيون الأحمر الوضّاء..

تجلس زوجته أمام المرآة تصفف شعرها، وتضع من أحمر الشفاه.. يتسع أحمر الشفاه على وجهها ليصل ما بين أذنيها.. وجهها بالكامل يتلون بالمساحيق.. يتخذ أنفها شكل كرة حمراء كبيرة.. يغلق عينيه.. يفتحهما على اتساعهما، يرجع كل شيء إلى طبيعته.. يضع رأسه أسفل الصنبور يحاول طرد هواجسه وبقايا النوم.. وأفكاره التي أرّقته طوال الليل، يرتدي ملابسه..

يودّع صغاره.. يهبط الدرج على عجل.. يتلقّاه صاحب العمارة على باب شقته، يستند إلى عكازه وإلى جواره زوجته الشابة الحسناء.. يطالبه بضرورة حسم أمره بخصوص الشقة، فإما أن يقبل بمبلغ الإيجار الجديد.. أو يبحث عن سكن آخر؛ فالوقت المتبقي على انتهاء العقد أقل من شهر.. ولابد أن يبحث عن مستأجر آخر في حال رفضه للتجديد.. تؤكّد الزوجة ضرورة قبوله الأمر؛ فالأستاذ نعم الجيرة.. تتلوي بغير حياء.. تنفرد وتستطيل.. تلتف حول جسد زوجها الكهل.. يتحول صوتها لفحيح.. يتبقع جلدها وتصير حية ضخمة.. يفرك عينيه جيدًا.. يشيح بنظره بعيدًا.. يعده بالردّ قريبًا جدًّا.. يستأنف نزول الدرج..

داخل عربة المترو.. يحاول فهم كل هذا التشويش الذي يقابله منذ الصباح.. لعله الإجهاد وتوتر النوم.. يغلق عينيه مستندًا برأسه إلى ذراعه المعلقة بالشباك.. تعاوده صورة النيون الأحمر.. في البنك حيث مكان عمله، كل شيء يبدو طبيعيًّا.. يبدأ في ممارسة مهامه.. يتعالى قرع الطبول داخل أذنيه.. يتحول كل زملائه لقرود داخل سترات سوداء، يتقافزون على المكاتب يتخطفون الموز والفول السودانيّ ويقدمون عروضًا مضحكةً.. ينتشله من دهشته رنينُ الهاتف.. المدير يطلبه على عجل.. يفرُّ سريعًا إليه.. ترحب به السكرتيرة اليافعة.. تتقدمه وتفتح له الباب..

يتراءى له طوقٌ يدور حول خصرها، وكرات ملونة تقذفها وتلتقطها مرة أخرى..

يتسع فاه على آخره.. يدخل.. ينغلق الباب.. يحيّي المدير وضيفه..

يبدأ المدير بالحديث عن العميل المهمّ الثقة.. وضرورة تسهيل إجراءات اقتراضه من البنك، فما المشكلة في منحه القرض، قبل وصول شحنة الأجهزة موضع الضمان.. فهي سوف تصل على كل حال، وتملأ المخازن..

كيف له أن يمنح قرضًا بضمان شيء غير موجود؟! إنه ضرب من الخبل!

يدخل عامل البوفيه يقود عجلة واحدة ببدّالين، ويحمل صينية القهوة، يقدمها وينسحب..

كلّ شيء حوله يشير إلى جنونٍ محقّق.

يقوم المدير إلى ماكينة القهوة داخل مكتبه لصنع قهوته، معللًا ذلك بأنه رجل لا يشرب القهوة إلا إذا صنعها بنفسه.. مانحًا العميل فرصةً للحديث:

اعلم يا أستاذ أنني لا أنسى من يخدمني، سرعة الحصول على القرض تسهل إجراءات عملي بما يدرّ على الربح..

ما رأيك بشقة وسيارة جديدة.. أم أنك تفضل المال؟!

يشيح بوجهه عنه، يتابع المدير من بعيد، أثناء صنعه القهوة، يُخْرِجُ من علبة القهوة أرنبًا ومناديلَ ملونة، وكراتٍ وحمامًا زاجلًا..

تتحول الملعقة في يده لعصا الساحر.. يتعالى صوت الأبواق داخل رأسه..

مصاريف مدارس الأولاد.. علاج زوجته الذي نفد منذ يومين بعدما باعت كل حُليِّها.. طلبُ السُلفة الذي رُفِضَ للمرة الثانية.. الهاتف المرفوع من الخدمة لعدم تسديد الفواتير..

يعود المدير حاملًا قهوته.. يطالبه.. بإرضاء العميل الصديق.. يخرج من قبعته أموالًا وحليًّا وذهبًا وتذاكرَ طيران.. يتذكر مطالبة صاحب الشقة بضعف الإيجار في العقد الجديد..

تختتم النقرات السريعة بقرع الناقوس.. يوافق..

يتبادل الجميع التهنئة..

يرخي رابطة عنقه.. يغادر المكتب.. يخلع نعليه أمام دهشة السكرتيرة.. يتلمس طرف الحبل.. يحاول موازنة أحماله.. تترنح العِصِيُّ أعلى كتفيه.. يثقل حمله.. يخطو بخطوات متيبّسة.. يتأرجح الحبل.. تنزلق العِصِيُّ.. يختل توازنه.. يسقط.. ويسقط..والموسيقى تعزف..

يشاهد جمهوره عن كثبٍ.. رتبًا ولحًى ونظاراتٍ ورابطاتِ عُنُقٍ.. ساسةً وإعلاميين، وكاميراتٍ وبالوناتٍ منتفخة وابتساماتٍ غيرَ عابئةٍ.. وشرائطَ ملوّنةً.. وأعلامًا.. ويستمرُّ العرض.

obeikan.com

امتداد الضوء

obeikan.com

(١)

طالما تحاشى أن يكون في مرمى الأضواء؛ فالأنظار تحيط كل من يدور فى فلك السطوع.. وهو لم يُرِدْ إلا أن يعيش ذاته التي أرهقته، فى محاولاته المستميتة فى القبض على أجنحتها المحلقة في غياهب أعماقه.

(٢)

الضوء يحاصر الزاهدين.. فيمَ الهرب يا ابن النور.. ومنك المنبع والمصب؟!.. حدقتا عينيك مناشيرُ ضوئيةٌ متراصّةٌ تتكسّرُ فيها الأشعة، ما بين البنيّ والعسليّ والذهبيّ. الهالة المحيطة بجسدك الشفاف لروحك النورانية.. مِغناطيسُ يجذبُ كل المكسورينَ والمرضَى ومُرَتّقي القلوب والعابثين والعابرين وحاملي الأحقاد.

(٣)

صمته لن يعيق فضولهم المتطاول على حديثه المقطر.. وسكونه لن يمنع عيونهم الثاقبة الماصّة من اختراق أنسجته وخلاياه مع كل حركة.. وضوؤه لن ينير عتمة نفوسهم الغرقى في الكراهية،

ويسألني عن ذنبه! كيف له أن يكون بكل هذا التميز.. ويستنكر دفع الضريبة؟!

(٤)

أُسْكِرْتَ بالسحر، وصَمَكَ صوت المريدين عن سماع دفقات قلبك!.. صرت تعتلي خشبة المسرح، وتحرك أنظارهم كخيوط عرائس الماريونت، تنتشي بالبريق أسفل الكشافات الساطعة.. فانطفأتَ.. بعدما أسرك امتداد الضوء.

opeikan.com

obeikan.com

آخر فرصة للهروب

obeikan.com

المزيفون يحتلون الشاشات، وصفحات الجرائد، والمذياع، يصبغون الهواء بغبار الجنيات الأسود.. نستنشقهم كرهًا كشظايا تمزق رئاتنا بالكذب.. يتقافزون فوق أحلامنا وآلامنا، يسحقون في طريقهم كل الحيوات الحقيقية، ويحتفون بالصور التذكارية لإنجازاتهم الصورية، بابتسامات مرسومة بسذاجة فاضحة.

وما زلت تخشاني..

ألِأنني صادقة أكثر مما ينبغي؟!.. ألِأنني أتوقف في محطات الواقع عقب كل وصلة تحليق.. وأنت تخشى التزامات التوقف؟!.. تجوب السماوات بحثًا عن شيءٍ ما، وما إن تدركه.. تتخندق في رحلة بياتٍ شتويٍّ، يمتد لفصول السنة الأربعة!..

أوَتعلم أنّي أخشاك بقدر خشيتك أو يزيد؟!..

كيف لي أنْ آمَن رجلًا يحول بين قلبه وبيني.. يقطع على مشاعره كل السبل؛ كي لا تصلَ إليَّ.. وتفضحه عيناه اللتان تسجّلان كل حركاتي وسكناتي، وكأنك تحفظ ملامحي داخلهما، كي لا تذوب حتى اللقاء التالي الذي لن يجيء.. وكأنما أردت استكمال لوحة الروح –التي سكنتْك رغمًا عنك ولفظتها إرادتك مراتٍ– بملامح ما؛ لتعلُّقها على جدار القلب أو ربما الذاكرة وترحل.

ولم الرحيل؟..

ألكونك تعلم أنني لا أملك حقَّ الاختيار؟! وإرادتي –تلك التي يراها الجميع صلبة وفولاذية– ضعيفةٌ جدًّا، كضعف أمَّةٍ خذلها كل الرجال.. وأنك تخشى نزال المشاعر، في عصر قهر الفرسان، فتحولهم إلى بقايا ظلال على ورق، نقرأ عنهم في كتب التاريخ، الملفقة وَفقًا لأهواء من كتبوها.

الحقيقة أنَّ كلانا يخشى الحبَّ..

نتحاشى التقاء نظراتنا مباشرة، ونتشاغل بأيِّ شيء في الجوار.. ربما لأن طريق الرؤية ممتلئةٌ بالجثث والدماء، والمزايدات الدينية والأخلاقية، والأمل الموءود في مهد ثورة.. لم تصلْ بعدُ إلى غياهب النفوس المعتمة بالظلم..

الحب الحلال لا يعيش في زمن الرخص.. القلوب المطروحة في سوق اللا ضمير مغشوشة، والمشاعر مستهلكة ورديئة الجودة.

نخشى الفشل.. ورغم أن الخوف من الفشل أقسى من الفشل نفسه.. لا نملك جرأة المجازفة..

وتخبرني أنك لا تعلم ما في نفسك..

أنا أعلم ما في نفسك.. وما في نفسي،

وأعلم أن طعنات الحياة لم تترك داخل أنفسنا جزءًا سليمًا قادرًا على البوح والمواجهة.. الخوف وطنُ مَن لا وطنَ له.. والحب والخوف يتصارعانِ في القلب حتى يطردَ أحدهما الآخر..

لذا أمنحك آخر فرصة للهروب..

تخندقْ.. ارحلْ.. تبخَّرْ.. لا تبقَ كسراب قائم في نهاية صحرائي القاحلة، كلما اقتربتُ منه.. ابتعدَ.. فأنساه، فيلوح لي من بعيد، يساومني بهاجس الارتواء.. فألهثُ تجاهَه ولا يزيدني إلا عطشًا.

قرأتْ رسالتها على الحاسوبِ مرةً أخرى.. أرسلتْها وجلستْ تنتظر الردّ.. ولا مجيب، كما هي الحال دائمًا، صفحته على موقع التواصل الاجتماعي مزدحمة بصوره المؤطَّرة بالسواد، ابتسامة كبيرة على وجه زائغ العينين خلف عدساته الزجاجية.. بالْطو أبيض ملطّخٌ بالدماء، وعيون منتفخة، بينما يشير بعلامة النصر.. شعر غجريٌّ وذقن غير حليق، وعلَمٌ في براح الخلفية متموّج بالزهْو.. مع رفاقه.. أمام البحر، وعلى الخط الفاصل بين المتناحرين حول القصر.. تسبُّه وتلعنُ مُزْحاتِه السخيفة.. تُقَلِّبُ داخل مواقع التواصل الاجتماعي؛ بحثًا عن ثقب إبرةٍ يقودها إليه، تصل كعادتها لتاريخٍ قديم تجاوز العام.. تعاود قراءةَ حروفه الأخيرة، ذلك السؤال الذي أطلقه وأطلق لنفسه عنانَ الهروبِ الأبديِّ.

نوطٌ برونزي

obeikan.com

الشاب الحليق صاحب النجمة المفردة على كل كتف.. أدى التحية العسكرية بعدما هبَّ واقفًا ما إن رآني أقف أمامه..

هل انتظرت تلك التحية كثيرًا.. كطفل متلهّفٍ للقاءِ أمّه التي لم تجئ.. على سلم الطائرة.. وفي ساحة المطار، وأنا عائد منتشيًا بقطعة البرونز وكومة الورق الحافلة بالإنجازات، وأشياء قد تشكّل قيمةً ما في مكان آخر؟.

لم أردّ التحية.. في ردّ التحية شبهة حنين لعسكرية لفظتني قبل أن أهجرها.. فقط طلبت منه الجلوس وارتشاف كوب العصير محاولًا جعل الحوار أقل رسمية..

طمأنته أنّ الفاكهة غير معالجة كيمائيًّا، تحرص زوجتي على جلب الأطعمة الصحية للمنزل والمطعم خاصتنا، الذي تديره ببراعة امرأة جميلة قوية الذراعين، عملت في تنسيق الحفلات والمطاعم العالمية لعشر سنوات..

اندهاشة عابرة تجاوزها سريعًا نافذًا إلى مهمته الرسمية.. سلمني المظروف المغلق بالشمع الأحمر..

اللون الأحمر يستدعي كل المتشابهات من الذاكرة،

العلامات التي تتوسط الهدف الذي لا تخطئه رصاصاتي أبدًا.. تلك الصقور الصغيرة التي لا تحيد عن وجهتها التي أوجهها إليها؛ لتصيب قلب العلامة المتوسطة.. إصابة كتفي أثناء التدريب، وإحالتي تعسفًا لمهام إدارية، رغم قدرتي على استئناف العمل كواحدٍ من أفضل القناصين بالوزارة.. كخيلٍ مصاب تركوه جانبًا في انتظار الموت.

المصباح الأحمر في الهيئة الحساسة، وقراءة كل حرف تكتبه بصوت عالٍ؛ لإثبات ولائك.. فالتكريم ومدّ الانتداب لا يعنيان تجاوزك الشبهات واحتملات الجاسوسية والعمالة..

ذلك الشك الذي يغلف حماسك وفتورك وابتسامتك وشرودك ورغبتك في البقاء.

القلم الأحمر الرافض لتمديد بقائك في بلد القوة والحريات، والذي أعقبه ذلك التحايل بتقارير طبية مزيفة.. كيف لي أن أعود للحياة القاسية المجحفة اللا عادلة.. بعدما وجدت أجزائي المبعثرة حيثما ركلني الوطن خارجًا؟!..

رابطة العنق اللامعة الحمراء التي يتجاوز سعرها مئتي دولارًا، والمخصصة للصباح حيث المهامّ الحساسة..

بينما أرتدي مساءً قميصًا قطنيًّا وبنطالًا قصيرًا وحذاءً مفتوحًا لا يتجاوز ثمنها جميعًا خمسين دولارًا.. يشكلون الزيَّ المناسب للعمل داخل مطبخ مطعم حقير، في محاولة مستميتة للبقاء عقب ذلك الانخفاض الحادّ في الراتب، والمترتب على هجمات سبتمبر المشؤومة.

قلم السبورة الأحمر، والذي تبقى لي كمنشفة لدموع غزيرة انهمرت، بينما أودع طلابي في المحاضرات المهارية.. ذلك القلم الذي أستخدمه بحرص في وضع بعض الملاحظات المهمة أثناء تدريس اللغة الإنجليزية الآن..

باقة التوليب الحمراء، تلك التي أهديتها زوجتي، محاولًا إقناعها بضرورة العودة وإنجاب الأبناء، بعدما أفقت على مشارف الكهولة.. وطالما كانت ترفض الإنجاب في الخارج؛ حتى لا تنتهي بهم الحال في دار رعاية أو سكن مستقل مع مراهقين منحرفين.

الملازم الذي فرغ من تناول مشروبه للتوِّ.. يحاول إفاقتي من شرودي بطلب الاهتمام وسرعة الرد.. ساعة الحائط العتيقة في الردهة تدقّ دقاتها العالية فتزيدني رهبةً..

فضضت الغلاف.. ختم الوزارة يزيد من حيرتي..

أقرأ الجواب حسَن الصياغة منمق العبارات.. والذي يخبرني بذلك الواجب المنشود، ويتيح لي حرية اختيار الموقع المناسب لشغله، كترضية مناسبة للعودة للداخلية..

أتذكر ذلك اليوم الذي حملت فيها حقيبة إنجازاتي وانتصاراتي، محاولًا التغلب على خذلان الأمس القريب والبعيد.. لأقف أمام رتبة تخبرني ببرود فجٍّ واندهاشةٍ متكلَّفة.

-هل عدت؟!

وبعد مضي وقت من التجاهل.. أبلغني بمنصبي الجديد كمسؤول عن نقطة شرطة كوم أمبو..

-كوم أمبو؟؟!

-نعم.. ألم تقضِ سنواتٍ عشرًا بالخارج؟! هنيئًا لك.. لم تفقد رتبتك.

طلبتُ ورقة وكتبتُ استقالتي في التوِّ.. كصكِّ التحرر من عبودية الظلم المدقع. تمَّ قَبول الاستقالة..

عدتُ إلى المنزل.. طوحتُ حقيبتي جانبًا،

وبدأت حياة جديدة كمحاضر لغة إنجليزية، ومالك مطعم ما زال يمارس مهامه القديمة، في تقطيع الخضروات وغسل الأطباق أحيانًا.

أعاود النظر في الكلمات المصفوفة داخل الخطاب الرسمي.. ترنُّ في الجمجمة عبارات وكلمات «تطهير الداخلية.. الثورة.. الفراغ الأمني.. الواجب.. الانتماء».

أبتسم لوقع الكلمة الأخيرة.. أقطع المسافة داخل حجرة الاستقبال ذهابًا وإيابًا..

الشاب الذي يراقب الموقف جيدًا.. يخبرني أنه لا ينتظر ردّي في التوِّ واللحظة، يستأذن في الرحيل ومعاودة الاتصال للحصول على الردّ..

يؤدي التحية العسكرية مرة ثانية.. أصافحه يدًا بيدٍ.. يغادر..

أتابع (تكتكات) عقارب الساعة الإرث التي احتلتْ طول العمود..

أتحسس النوط البرونزي داخل علبته القطيفة.. ملمس القطيفة الناعمة يدغدغ انكسارات العمر.. أُلْقِمُ الخطاب لفم القداحة، ألقيه في المطفأة تأكله النار..

ظل الحكايات المبتورة

obeikan.com

(١)

طالما انتقدتُ الأمهات اللائي لا يعرفن عن الأمومة.. سوى المنع وتقديم الطعام، وتأكد لي يقين أمومتها.. عندما صارت تقدم الطعام والابتسامات على أطباق العجز، بعدما صارت الأخت/ الأم، وعمود البيت المرمم بالشرائح والمسامير الموشومة بآثار الجراحات.

(٢)

الابتسامة الباهتة التي تنسجها بإبر التريكو، تحمل بقايا دفءٍ كان ها هنا قائمًا، ورحل مع أول قارب عبر البحر، مستترًا بالظلام تاركًا بعض الخيوط؛ لنسج دفءٍ وليدٍ على مقاس صغيرها.

(٣)

ينقضي يومها بين صراع للخروج من البيت وصراع للعودة إليه، وما بينهما يدركها الإنهاك.. قبلما تستطيع فك طلاسم كل الأضداد التي تحيط وجودها.

(٤)

أخبرنني أنني الحلم الذي يجب أن يتحقق؛ انتصارًا لأحلامهنّ المجهضة.. ولكنَّ انتصاراتي تبيّن حقيقة مكانهن على الطريق، فيتألمن، وما بين آمالهن وآلامهن.. أتبعثر كحروف منثورة، أتتبع ظل الحكايات المبتورة، أتساءل عن حقيقة كل الحكايات التي أتنقل فيما بينها.. أحمل روحي داخل حقيبة الإسعافات الأولية.. لأجد أنني أسعف وجودي باحتياجِهِنَّ الدائم!

obeikan.com

obeikan.com

الذي هتف

obeikan.com

يمارس السقوط داخل نفسه كل يوم، يتوه في زخم الأسئلة ولا يجد إجابات وافية.. يفتش عن ذاته داخل ثنايا من لا يقبلونه سوى انعكاس لصورهم الباهتة.. تمردَ على كل القوالب الجامدة بدءًا من إطالة شعره وتسريحته الغجرية.. مرورًا بملابسه الغريبة، ورفضه لكل الثوابت في المطلق دون تفرقة.. إلا أنه لم يشعر بالاكتفاء.. كيف وهو المطرود بالإقامة الإجبارية داخل الحدود!.

لم يكن يملك سوى حنجرة صاخبة وغضب كامن يدفعه للصراخ.. مَدُّ الجموع المتفقة على ضرورة إزاحة تلك الصخرة الخانقة لانبساط الطريق.. ألهب حماسته، وهو يكره الحواجز.. كل الحواجز.

سار معهم.. هتف للناس بصوت هادر: أن أزيحوا سدة الطريق .. حملوه على الأكتاف

تجمعوا من كل صوب وحدب، الطريق واحدة والهدف واحد.. والمقدمة عارية.

الغاية الواحدة لا تصلح للقيادة، كان لا بد أن يكون أحدهم كرأس سهم يرشد الجموع.. فارسًا يقود المعركة.

الفتى.. صار في الصفوف الأولى مندفعًا بشجبه وتنديده اللذين لا يخفتان ولا ينقطعان.. في الحشد تتشابه كل الوجوه، ولا يبرز سوى أصحاب الأصوات العالية.. هو لا يعلم مَن دفعه لرأس المسيرة، بعدما أعلن أحدهم: ابحثوا عن الذي هتف..

إلا أنه انتشى بمعوله الصدئ وركوبته العرجاء، وكون الجميع خلفه، وبصره الممتد لا يعوقه بشر..

الفارس.. ظهره مكشوف، لعيون قادرة على مسح كل الثقوب والرقع والأوساخ العالقة بثيابه، ومريدوه يشنّفون أذنيه بعبارات المديح.. الجموع تضطرب.. تزداد الهمهمات.. يبتلع اللغطُ الهتافَ.. ينقسمون، أصواتٌ تعلو مشككة في أحقيته بالقيادة، يُعدِّدون مسالبه.. يتساءلون عن جدوى خطواته ومدى إخلاصه..

تحتدم المعارك الكلامية.. ينقسمون.. يتفسّخون، وتنصّب كل فرقة فارسًا جديدًا.. لا يمضون قدُمًا، فالجميع يخشى الجميع، الطريق ليست آمنةً، ولا أحد يأتمن الجموع الغادرة.. ومن سيسمح لفرقة بعينها أن تنال شرف البطولة؟! والفوارس يمتطون النيات الحسنة، لتبرير أحقيتهم بإزاحة الصخرة وفتح الطريق..

الهجوم خير وسيلة للدفاع.. يتشابكون.. يقتتلون.. يتحصنون.. يقيمون بينهم الجدران والسواتر والأسلاك الشائكة، والألغام إذا لزم الأمر.. تدور طاحونة الحرب بين كرٍّ وفرٍّ..

الفارس الذي هتف.. فقد صوته في محاولات الفهم..

وتظل الصخرة قائمة، كشاهد قبر جماعي يضمُّ الجميع على الطريق.

obeikan.com

obeikan.com

إصبع مشقوق

جلس يتأمل ذلك الشق الغائر، من خلف زجاج نظارته السميك، الذي لم يهتمّ يومًا بتنظيفه، فدائمًا ما يتضبب بكثافة دخان سجائره.. كان يتأمل إصبعه لآخر مرة، يلامس فلقتيه بإبهام يده الأخرى، بعدما وضع أصابع كفه اليمنى داخل اليسرى..

هل منحه الطبيب كل هذا الوقت، لاجترار كل الأحداث التي رافقت جرحه الغائر لأكثر من خمسين عامًا؟.. هل التئم الجرح حقًّا، وحان وقت إزالة ندبته العميقة للأبد؟!

ما زال يتذكر قالب الطوب الجيري، الذي قرر ذات ليلة أن يترك له ذكرى تلازمه بالألم.. كان يلهو مع قرنائه في القرية، عندما قرر أحدهم تسلق رصة الطوب الجيري، أمام أحد البيوت الذي لم يستأنف بناؤه بعد.. كل شيء حدث بعد ذلك ككابوس ممتدٍّ، ذلك القالب الضخم الذي تهاوى محدِّدًا وجهته نحو سبابته، ليندفع الدم كمنبع نهر لا ينضب..

استغرق الأمر نحو ساعة للوصول لأقرب وحدة صحية.. ليضع الطبيب إصبعه داخل زجاجة المكركروم تاركًا له حرية إطلاق الصرخات حتى أنهكه التعب.. لفَّ إصبعه بالشاش الطبيِّ جيِّدًا، ومضى يستأنف نومه..

متى توقف الجرح عن النزف؟ لا يعرف، ولكن إصبعه المشوه طالما أثار داخله تساؤلات عن تشوُّهات التفاصيل اليومية..

وظلَّ الشقّ ثقلًا في الكفّ، يجذبه للهتاف في المسيرات كتلميذ قرويٍّ مشاغب.. اعتلاء المنابر الطلابية في الجامعة كرمز للنشاط السياسيّ الطلابيّ، وهو الملاحق أمنيًّا دائمًا..

علامة في الجسد.. علامة على الطريق.. في أحلك أيام المعتقل والبرد يدبُّ في أوصاله..

مدُّ الشيبِ طال رأسه قبل الأوان، غادرت بعض الأسنان فكَّيه دون رجعة.. انحنى جذعه النحيل جدًّا، وما زال يمارس نضاله ضدّ نظام مستبدٍ، حاملًا على عاتقه همَّ الإنسانيّة جمعاء..

وكلما سئل عن إصبعه، وهو المعلم المنادي دائمًا بإصلاح منظومتي الصحة والتعليم، عن ضرورة إجراء جراحة تجميل لتلافي الأمر.. كان يتعلل بالوقت.. هل كان يلزمه الوقت فعلًا؟! أم أنه أراد الإبقاء عليه كما ألِفه دائمًا؟!..

يمارس الحلم جهرًا على المقاهي وفي الشوارع.. يجالس الشباب يمدهم بطاقةِ روحِه الثورية العاصفة..

يضجّ منزله دائمًا بالتلاميذ.. ينقش حروف الحلم على صدورهم مع الأبجدية، يلقِّنهم حقوق المواطنة مع جدول الضرب، يصنع وسائله التعليمية بالجبس والورق المقوَّى والأقلام الفارغة لشرح العلوم والحساب..

يكتفي بابتسامتهم أجرًا.. وبريق الفهم..

يقود المسيرات والوقفات غير آبهٍ بتآكل العمر.. وكل العلامات التي تركها الزمن على جسده وأقدمها ذلك الإصبع الذي يتراءى للبعيد كإصبعين صغيرين مضمومين.

أول من رافق ثورة الشباب.. استنشق الغاز حدَّ الإعياء.. كرّ وفرّ.. تلقَّى الخرطوش بصدر رحب.. وقذف أصحاب الهراوات الغاشمة بالحجارة.

روح تحلق بالحلم حدّ الشطط.. ولكنّ كلًّا يحلم بطريقته..

هل تلاشى ذلك الأمل الذي كان أكبر من أن يتحمله قلبه المثقل بيأس العمر.. وتمزق الوطن بين استعلاء وصفقات غير معلنة ومصالح اتجهات بعينها؟!..

هل ازداد الفقر والظلم وأصبح الأمر يمسُّ كيان الدولة؟!..

هتف للقائد الجديد.. عمَّدَهُ كمخلص ونجم أوحد للعرض.. راهن بما تبقى في رصيد العمر عليه، وصمّ أذنيه وأغلق عينيه واقتنع أن الأمر انتهى.. غيرَ عابئٍ بشلالات الدماء المهدرة..

لماذا غادره صديقه محتدًّا وهو ينعته «بابن الدولة» لماذا تلقى الأمر كسُبَّةٍ،

وكل ما يعنيه حقًّا إقامة الدولة؟!.. ألم يُهْدِه الصديقُ نفسُه في واقعة الاعتقال الأخيرة بطاقةً مدونًا عليها: «بين النور والنار.. وُجِدْتَ كفاصلةٍ بين جملتين حقيقيَّتين حدَّ النضال الذي أفنيت فيه عمرك...».

لم يعد لديه سعة للنقاش، يكفيه هؤلاء من يري بينهم انعكاساته المعلنة، عن انتهاء الأمر برمته على خير وجه.

واعتزل الحياة السياسية إلى غير رجعة..

لديه متسع من الوقت للقراءة، ربما عليه ممارسة الرياضة..إصلاح أسنانه.. وإصلاح ذلك التشوُّه الذي رافقه عمرًا..

الآن ينتظر في تلك الغرفة الباردة ورائحة الديتول تداعبُ ذاكرته.. يوزع نظراته بين الأدوات المعدنية على الطاولة ولفافات الشاش والقطن، يتأمل تجاعيد كفَّه، ويبتسم لشقِّ سبابته ساخرًا.

obeikan.com

obeikan.com

تقرير طبي

obeikan.com

(١)

رصاصة من الظهر نافذة حدّ اختراق القلب غدرًا، والجثة لشاب عشرينيّ أسمر نحيف، بين أصابعه المعقوفة بشدة.. تمرةٌ استقرت في راحة اليد بسبابة مفرودة محذّرة من انتشالها.. ربما أراد أن يدفن بها؛ لتكون بمثابة تصريح لمرور عبر السماوات السبع؛ بحثًا عن إجابة مرضية عن قاتله، الذي ضنَّ عليه بإفطار يابس بعد يوم قيظٍ لافحٍ منهكًا من الجوع والعطش.. برؤية وجه أمه الغارق في تجاعيد العمر عقب وقفة ساعات الخدمة.. الأوامر.. الطوابير.. التكدير.. ومراقبة الحدود مع الأرض المسلوبة.

(٢)

ما بعد القفص الصدري منخفضٌ بحيز البطن.. يحمل داخله أمعاء خاوية تئنُّ طلبًا للعدالة، وهن عام.. إغماءات متتالية..وعيون لم تعد قادرة على تحمل النور، بعدما أَلِفَتْ عتمة النفوس والسجون، وهو لم يجد عن الموت بديلًا للرحمة، الأطباء تواطؤوا على منحه الحياة قهرًا، يحقنونه بالمغذيات رغمًا عنه.. السوائل الموصولة بذراعه، تتنافر مع الدمِ الأبيِّ.. ينزف لافظًا كل المعطيات التي تدحضه إنسانيته.

(٣)

الأشلاء المبعثرة داخل ثلاجات المشرحة متشابهة، وكأنها جسد واحد كبير تمزَّق مرارًا، دهس بعضه، حرق بعضه، وتناثرت أجزاءٌ على أثر الإنفجار الأخير.. ما جدوى البحث وراء القطع الآدمية والهُوية واحدة.. حقل وجع تحصد فيه الرقاب بمناجل الكراهية!

(٤)

كل التقارير التي خطها لم يقبلها أحد، حفظها في خزانة الذاكرة، بعيدًا عن عبث التقارير الرسمية والديباجات الثابتة لهبوط الدورة الدموية.. الورقيات المصفوفة داخل عقله تنثر حروفها حادة وموجعة داخل أوصاله.. كل الأجساد التي صادفها حية وميتة كانت متشابهة تحمل بعضًا من عجزه، كمسمارٍ صغيرٍ داخل منظومة من التروس المكهنة، لا تكف عن التِهام الصرير في دورانها القسري.

obeikan.com

obeikan.com

بدر الأفل

أمام المرآة التي تسلل نشع الرطوبة إلى معظم أجزائها، تاركًا بقعًا داكنة على السطح، وقف عاريَ الصدر يتأمل انعكاسه المنبعج، يمرر أصابعه الباردة على جرحه القديم، الذي اندمل منذ سنوات عدّة تاركًا ذكرى مشوّهة أسفل بطنه.

كان يفتش بأصابعه عن مصدر الألم، الذي يعتصره وكأنما عاوده نزف الجرح.

كم من الوقت مرَّ؟ كم من الوقت تبقى؟

الدمعة الدافئة التي انزلقت رغمًا عنه لتشقّ طريقها على وجهه الجامد، بعد أن مرت بعنقه وسبحت فوق صدره.. استقرّت في نتوء الجرح القديم، وترنّحت مستسلمة لجاذبية الأرض.. عندها أدرك أنه وقف طويلًا، كتمثال منحوت من الثلج غير عابئ بالصقيع..

الدمعة الفارّة فتحت بوابة العبور للكثير من الدموع.. فيضان الحزن المنهمر من العينين زاد إحساس البرودة، أخذ يرتجف ويتهدّج بالبكاء في الغرفة الخالية، باحثًا عن صدرها الذي طالما خبأ فيه دموعه، التي لم يكن ليسمح لأحد سواها برؤيتها تنساب.. باحثًا عن ذلك الدفء المقيم تحت شالها الأسود القطيفة.. ذلك الشال الذي طالما دثّره صغيرًا؛ ليحجبَ عنه الهواء وحسد العيون..

ذات صباحٍ وهي تُحْمي الفرن سألها عن البدر.. ضحكتْ ولم تجِبْه،

بعد أيام اصطحبته لسطح الدوّار، أشارت بيدها لقرص أبيض مضيء في السماء، وحملته باليد الأخرى، وأخبرته أن هذا هو البدر.

– «أنا بدر يا امّه» ؟!

– «أيوه يا حبيبي، ومنوّر أيامي»..

ظلَّ يراقب البدر أيامًا.. تضاءل البدر حتى اختفى.. هرع مفزوعًا إلى أمه يسألها عن البدر الذي أفل..

فأجابته أنه مسافر وسوف يعود مرة أخرى.

– «وآني حاسافر يا امّه»؟

– «بدر السما يدور ويرجع، بدر ابن بطني ميفوتنيش أبدًا».

كبر بدر، صار صبيًّا يافعًا.. كبر أكثر مما ينبغي.. عندما شاهد كل شيء ينهار، تثاقلت الديون وزادت مشاكل زوجات أبيه، الذي يترنح كل مساء غير مدرك للمرض الذي يذيب كبده.

حفيد العمدة و(سلسال) الباشا الكبير، اضطرّ للعمل في عطلات الدراسة..

والوضع يزداد سوءًا، زوجتا أبيه لم تتحمّلا فطلقهما،

وظلت أمه تربي الأبناء وتتحمل إهانات زوجها الدائمة.. فقط لتظل جوار وليدها الوحيد.

أحشاء أبيه مزقها الخمر، مرضه استنفد ما تبقى لديهم، ولم يكن لديه خيارات كثيرة..

جسده لم يتحمل، فثار عليه معلنًا انفجار الزائدة الدودية، نجا من الموت بأعجوبة وترك له الطبيب تذكار تشوُّه جراحي، كعقاب على لجوئه لمستشفى حكوميٍّ..

سنة من المرض كانت كفيلة بأن تنسيه الجامعة ولا يفكر إلا في تراكم الديون.. سافر إلى بلد البراجيل.. دبي، بلد الحضارة المستحدثة، عمِل عاملَ محارة، بائعًا، سائسَ جراجٍ، وفردَ أمنٍ.

تكيل له الغربة اللَّكَمات، ويتلقّاها بترحابٍ صعيديٍّ كريم.

إلى أن ساقه القدر للعمل بوظيفة في مؤسسة حكومية، بعدما حصل على العديد من الدورات التدريبية.

لم يعدْ يعبأ بشيءٍ.. أي شيء.. إلا أمه، فبعدما دقَّ قلبه أول مرة.. تعلم الدرس جيدًا؛ فالمشاعر في مدينة الأبراج مجرد لعبة للتسلية..

فليحلقْ في العالم الافتراضي عبر الشبكة العنكبوتية كيفما شاء، يردد كلمات الحب والغزل والضعف والحرية، وكل المعاني التي حرم من ترديدها.. فإن كانت المسؤولية سلبته حياة خاصّة.. فله في الخيال ألف حياة، لن يحرمه منها أحد.

هل كان في الدوار من أشهر عدة فقط.. كان الجو حارًّا جدًّا، وهو اعتاد المكيفات الباردة، لم يستطع النوم لأيام من وخزات الناموس. ساعدته أمه على لف العِمَّة.. تحرّج من كون يديه المدربتين سنوات على لفِّ العِمَّة.. صارتا تتقنان طيَّ رابطة العنق أكثر.

السلاح الذي اعتاد حمله صبيًّا صار ثقيلًا جدًّا على كتفه ككل الأشياء الثقيلة المعلقة بكاهله، فالثأر الذي أهداه أبوه إياه ليزيد أعباءه.. يتربص به كلما عاود الزيارة.

كان عليه أن يجيء رغم الخطر المتربص، فنظرة رِضًا من عينيها وهو يلبّي رغبتها في إتمام الخطبة.. تكفيه زادًا لكل سنوات الغربة المقبلة.

صار له خطيبةٌ حسناءُ.. كذلك.

ثَمَّةَ شيءٌ ما في صدره كاد أن ينخلع وهو يودعها آخر مرة، كان بوده أن يمكث معها.. إلا أن كل ركن كان يلفظه ليعاود الترحال..

يلفظه ليعود بعدما رحلتْ دون وداعٍ.. بعدما أخذتْ ألف سؤال وإجابة، ودافع ليستأنف المراقبة من عالمه العلوي تاركًا جسده، يدور كتِرْسٍ داخل ماكينة الحياة.

يقف يصافح المعزين بوجه حجريٍّ وعينين زائغتين، تبحثانِ في كُلِّ الوجوه عن بعضٍ من ملامحها المدفونة، لديه المال.. الكثير من المال، وسيارة وعقارات وخاتم فضّيٌّ في يده اليُمنَى وجرح قديم، وجعُه لا ينتهي.. فلماذا رحلت؟!

بدأت رعشة البرد تسري في جسده بأكمله، سحبَ شالها الأسود ودثّر نفسه جيدًا، سقطت عيناه على التاريخ الهجري في النتيجة المعلقة..

منتصف الشهر العربيّ..

اعتلى سطح الدوار، أخذ يراقب البدر.. حتى حاصره الشروق.. فارتحل.

obeikan.com

الملعون

obeikan.com

(١)

مسافر هو بين أبواب المدينة، يدور حول أسوارها العالية، يكرر نداءاته المستغيثة، ويرفع كفيه متضرعًا.. ولا شيءَ سوى رنين الصدى.

(٢)

نبذه رهبان المعبد.. طردوه من مدينتهم؛ لأنه بلا فضيلة، رفض الركون إلى الرعاع؛ لأنه بلا رذيلة.. فأصبح وطنه.. بَيْنَ بَيْن.

(٣)

في نهاية الرحلة الأولى وجد نفسه عند بوابة البداية، طرق رأسه في الجدار محاولًا الانتحار، بعد أن لفظته كل الأبواب.. فتخلخل الحجر.. نسي طلب الموت، لكنه ما زال يطرق رأسه في الجدار كلما أتمّ دورته.

(٤)

لقبوه بالملعون.. فسكن لعنته.. واتخذ من موضع قدميه موطنًا.. وظل جسده مَصَدًّا على أبواب المدينة؛ يتلقى صفعات كل الرياح بوجه غير عابسٍ، ولم يعرف الابتسام.

بعد خامس للغرغرينا

obeikan.com

رفض إجراء العملية.. رغم إلحاح الطبيب، أراد أن يحتفظ بأصابعه الأربعة جوار إبهامه الذي ينوي غمسه في الحبر الأزرق، وبعدما ساعدوه على وضع علامة (صح) كبيرة أمام الرئيس الذي اختاره للمرة الأولى.. بينما يشارف التسعين.. اقترب من قنينة الحبر.. ليجد أن (الغرغرينا) قد أصابت إصبعه الخامس.

obeikan.com

مدينة البنات

obeikan.com

كل البنات اللائي ولدن في مدينتي يحملن قلوباً زجاجية، في الصغر يعلمونهن الحذر.. يمنعوهن من الركض واللعب خشية عليهن.. يكبرن وقد تعلمن أن صدورهن منطقة محظورة، يحاربن كل من يحاول الاقتراب.. يُحِطْن أنفسهن بالشوك والحواجز.. يبنين ألف سور وحائط وخندق للاحتماء.. تنضج القلوب بالخوف.. تتطلع لألسنة النور المقتحمة للأسوار، تنسلُّ من قضبان صدروهن.. تحلّق كفراشات يستهويها الضوء.. تتضاحك.. تتقافز.. تتصادم.. تنكسر..

في مدينتي كل البنات يعشن بقلوب مكسورة.. وكل البنات اللائي يُولدن يعلمونهن الحذر.

obeikan.com

العصفور الأزرق

obeikan.com

أينما حلّق، كان يسمع همهمات الطيور عن العصفور الأزرق، طالما أرّقَه أنه الوحيد الذي لم يرَ هذا الطائر البديع، ذات يوم حطَّ على حفرة عمّقها السيل وامتلأت بالماء، شرب حتى ارتوى... حدَّق قليلًا في صورته المعكوسة على سطح الماء.. صرخ في نشوة: «أنا أيضًا أمتلِكُ ريشًا أزرق!».

obeikan.com

obeikan.com

الفهرس

إهداء ٥
(كابينة ١٣)..... ٧
عزف الصور..... ١١
صوت الهدهد ١٧
مسمار صدئ ٢٣
ذات الشعر الرمادي ٢٧
سميط ساخن..... ٣١
عربة اليقطين ٣٧
خيط مهترئ..... ٤١
(هيلتون) الوحدة الصحية ٤٥
سنُّ النحلة..... ٥٣
الركض على الحبل..... ٥٧
امتداد الضوء..... ٦٣

obeikan.com

آخر فرصة للهروب ٦٧
نوطٌ برونزيٌّ..... ٧١
ظل الحكايات المبتورة..... ٧٧
الذي هتف..... ٨١
إصبع مشقوق..... ٨٥
تقرير طبيّ ٩١
بدر لا يأفل..... ٩٥
الملعون..... ١٠١
بعدٌ خامسٌ للغرغرينا..... ١٠٣
مدينة البنات..... ١٠٥
العصفور الأزرق ١٠٧

obeikan.com

صدر للكاتبة

«للصفيح بريق خاص» مجموعة قصصية..... ٢٠١١

«لست بأنثى» مجموعة قصصية..... ٢٠١٣

تعريف بالكاتبة

شيماء زايد ، مصرية ، من مواليد دمنهور ١٩٨٧ ، خريجة كلية الآداب قسم اللغة العربية ، مصممة جرافيك .

للتواصل مع الكاتبة

http://www.facebook.com/Shimaa.H.Zayed
Sh.zayed1@gmail.com

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com
ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

obeikan.com